



الحكمة فى شعر المتنبى

(مع تصنيف حصرى لمجموع الحكم فى ديوانه)

أ. د. حامد طاهر

تمهيد لازم :

الحكمة هى حقيقة إنسانية تعبر عن وجهة نظر صاحبها ، الذى يكون عادة من كبار الفلاسفة والأخلاقيين ، وله تجارب عميقة ومشاهدات دقيقة لكل ما يجرى حوله من تصرفات الناس وطبائع الأشياء . وتصل إلينا الحكمة دائما فى شكل جملة شديدة التركيز ، لكنها أيضا شديدة الموضوع ، بحيث لا تحتاج إلى شرح أو تفسير ، بل إنها هى التى تساعدنا على فهم القضية التى تدعمها . والحكمة تشبه المثل الشعبى ، لكنها تفترق عنه من جانبين : الأول أن صاحبها معروف ، بينما صاحب المثل مجهول ، ولذلك فإن المثل يعتبر تراثا مشاعرا يتقاسمه الجميع . والجانب الثانى : أن المثل الشعبى يكون دائما صحيحا ، والسبب فى ذلك أنه لا يشيع وينتشر إلما بعد أن يكتسب موافقة الناس ويحظى بقبولهم فى مختلف الأماكن والعصور . أما الحكمة فإنها قد تكون صائبة فى معظم الأحيان ، ومعرضة للخطأ فى أحيان أخرى .

ومن المتعارف عليه فى الأوساط الأدبية ، قديما وحديثا ، أن المتنبى كان من أكثر الشعراء العرب احتفاء بالحكمة ، وإيرادا لها فى قصائده . لكن أحدا لم يرقم حتى اليوم ببحث استقصائى يجمع فيه (كل) عناصر الحكمة لديه ، مع أن هذا العمل يمكنه أن يتيح لنا أولا : إلقاء نظرة شاملة عليها كلها ، بدلا من اجتزاء بعضها ، والاختصار عليه . وثانيا : متابعة تطور الحكمة لديه من حيث القلة والكثرة ، وكذلك من حيث البساطة والعمق . وثالثا : استخلاص فلسفة خاصة بهذا الشاعر العربى الكبير ، الذى عاصر أثناء حياته الخاطفة تجارب متنوعة مع كل طبقات المجتمع فى عصره . وأخيرا فإن استعراض مجموع الحكم لديه تفتح الباب أمام الدراسات المقارنة للوقوف على منابعها ، ومن أى المصادر استمدتها .

لكننى أود أن أتوقف هنا عند نقطة هامة ، وهى أن دارسى الأدب العربى ، وخاصة الذين درسوا المتنبى ، قد اعتبروا (الحكمة) عنده : غرضا شعريا قائما بذاته . وهذا خطأ شائع ينبغى تصحيحه . لأن أغراض الشعر العربى الرئيسية هى : (الممدح والمرثاء والمهجاء والشكوى من الزمان) ثم تأتى بعد ذلك وسائل فنية ، يستعان بها فى إقامة بنية هذه الأغراض ، وهى (الغزل) فى مقدمات القصائد ، ثم (الوصف) و (الحكمة).. والدليل على ذلك أننا لا نكاد نعثر إلما على قصائد قليلة فى كل من الغزل والوصف ، أما الحكمة فلما توجد فى قصيدة مستقلة ، تختص بها وحدها .

والملاحظ أن الحكمة عند المتنبى منبثة فى معظم قصائده ، وليس فيها كلها . وهى تأتى غالبا لتأكيد معنى ، أو لتدعيم قضية ، أو لتبرير مبالغة . والقارئ لديوان المتنبى ، الذى أشرف هو بنفسه على ترتيبه ، يلاحظ أنه يكاد يخلو من الحكمة فى أشعار المصبا والمشباب ، وهى مرتبطة بالمرحلة الأولى من حياته ، حيث كان يسعى إلى التكسب بالشعر ، من خلال مدح الأشخاص الذين التقى بهم . ومن الواضح أن القليل من الحكمة التى وجدت فى هذه المرحلة تتسم بالبساطة أو حتى السذاجة ، ويمكن إرجاعها إلى بيئة الحياة البدوية التى عاشها فى صباه ، لكنه عندما يلتحق ببلاط سيف الدولة فى حلب ، وتتاح له فرصة أكبر فى الاطلاع على تراث الأمم الأخرى : الفارسية والهندية واليونانية ، نجد نوعا آخر من الحكمة ، أكثر عمقا ، وأنفذ نظرا إلى الحياة ، وسوف تظل هذه الحكمة تتعمق وتتوسع بتنوع التجارب الإنسانية التى مرت بالمتنبى ، خلال سنوات عمره القصير نسبيا ، والذى لم تتجاوز الـ (51) عاما .

وعلى الباحثين الذين يرغبون فى الوقوف على أسرار الصياغة الشعرية المتميزة لدى المتنبى أن يرجعوا إلى دواوين ثلاثة من كبار الشعراء الذين سبقوه ، وهم أبو تمام (ت 231 هجرية) والبحتري (ت 284 هجرية) وابن الرومى (ت 283 هجرية) ، وهو نفسه كان (راوي) لابن الرومى ، كما وجد فى مقتنياته ديوانا للبحتري وأبى تمام ، وعليهما الكثير من تعليقاته بخطه . والمواقع أن أساليب هؤلاء الثلاثة الكبار تتردد بصوت عال أحيانا ، ويخفوت فى أحيان أخرى فى شعر المتنبى ، لكنه يتفوق عليهم جميعا بأسلوبه الخاص ، وصياغته المتفردة ، وقوة تمكنه من استخدامات اللغة العربية واستغلال كل إمكانياتها ، بل واختراع أساليب جديدة وصيغ مستحدثة فيها .

لذلك عندما يقال إن المتنبى أخذ معنى من شاعر سابق ، أو استعار حكمة من فيلسوف قديم ، فإننا لا ينبغي أن نقلل من شأنه ، أو نسلبه قدرته الفائقة على جودة الصياغة التى وضع فيها هذا المعنى أو تلك الحكمة . فهو بالفعل يستمد من التراث السابق عليه ، لكنه يكسوه ثوبا من عنده ، وأسلوبا خاصا به لا يكاد يدانيه فيه أحد من الشعراء السابقين عليه ، أو حتى الملاحقين له . وتقتضى الأمانة العلمية أن أشير فى هذا الصدد إلى ما قام به أحد الباحثين (لم يذكر اسمه مع الأسف) حين نشر على شبكة الانترنت بحثا جيدا بعنوان (حكم أرسطو وما يقابلها فى شعر المتنبى) بتاريخ 21/6/2009 رصد فيه (41) موضعا ، يبدو منها التلاقى بين الفيلسوف اليونانى والشاعر العربى واضحا أحيانا ، وقليل الموضوع فى أحيان أخرى ، لكن ما يعيب هذا البحث هو عدم تحديد المصادر التى جاء منها بمقتطفات أرسطو ، حتى نتمكن من توثيقها والمطمئنان إليها ، كذلك هناك بعض الأقوال المنسوبة لأرسطو لا تتطابق تمام المطابقة مع أبيات المتنبى . ومن ذلك مثلا :

قال أرسطو : علل الأضغام أشد من علل الأجسام

والمتنبى يقول على نحو أعم وأشمل :

يهون علينا أن تصاب جسومنا

وتسلم أعراض لنا وعقول

□

ومن ذلك أيضا :

يقول أرسطو : إذا لم تنصرف النفس عن شهواتها ومرادها فحياتها موت ، ووجودها عدم .

والمتنبى بعيد عن ذلك تماما ، حين يقول :

ذل من يـغـبـط الذليل بـعـيـش

رب عيش أخف منه الحمام

□

ولما أريد أن أطيل أكثر ، فالمباحث مشكور على أية حال . وهو يفتح الباب أمام باحثين آخرين للوقوف بدقة وبتوثيق أكثر على المنابع التى يمكن أن يكون المتنبى استمد منها ضروب الحكمة لديه .

من هنا جاءت فكرة هذا البحث الاستقصائى الذى قمت به ، وغرضى منه أن أضع أمام القراء بعامة ، والمباحثين فى المتنبى بخاصة (مجموع الحكم التى وردت فى شعره كله) ، وقد تطلب منى ذلك قراءة ديوانه أكثر من مرة ، قمت خلالها برصد كل ما يتعلق منه بالحكمة ، ولكى أسهل الأمر على غيرى ، صنفت ما جمعته فى ستة أقسام :

1 - الحكمة فى جملة من شطر بيت .

2 - الحكمة فى الشطر الأول من البيت .

3 - الحكمة فى الشطر الثانى من البيت .

4 - الحكمة فى بيت مفرد .

5 - الحكمة فى بيتين متتاليين .

6 - الحكمة فى عدة أبيات متتالية .

هذا من حيث الشكل الخارجى لورود الحكمة لدى المتنبى ، أما من حيث (أبطال الحكمة) فكثيرا ما يكون هو نفسه صاحب القول الفصل فى الحكمة ، وأحيانا كثيرة يجعل (الدهر أو الزمان أو بعض الأشخاص أو بعض الحيوانات وخاصة الدوحوش أو بعض الطيور وخاصة الجوارح) . ومن الناحية الأسلوبية فإن الحكمة لدى المتنبى تأتى غالبا فى صيغة خبرية (تقريرية) وقليل ما ترد فى صيغة استفهام استنكارى .

والذى يعيش طويلا مع هذا الكم الهائل من ضروب الحكمة لدى المتنبى لا يسعه إلا أن يعترف ببراعة هذا الشاعر الكبير فى اقناع القارئ بأن جميع الحكم التى أوردتها صادرة بصورة طبيعية للغاية من نفسه وروحه وقلبه ، فلا شئ منها - إلا فى النادر - مصنوع أو متكلف ، ولعلنا نستحضر هنا كلمة للمفكر الفرنسى بول فاليرى يقول فيها : "إن الأسد ليس سوى عدة خراف مهزومة " ! أمر آخر ، وهو أن المتنبى قد قرب الحكمة (التي تصيب وتخطئ) من المثل الشعبى (الذى يصدق دائما) ، والذى تتداوله الأجيال وهى مقتنعة تماما بصدقه وصوابه . ولعلنا جميعا نذكر من أبيات المتنبى التى مازالت حتى اليوم تجرى على الألسنة ، ومنها قوله :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد

ذا عفة ، فلعله لا يظلم

لا يسلم المشرف الرضيع من الأذى

حتى يراق على جوانبيه الدم

وقوله :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله

وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

وقوله :

أعز مكان فى الدنيا سرج سابح

وخير جليس فى الزمان كتاب

فهذه وأمثالها كثير قد تحولت بفضل المتنبى من حكمة قالها حكيم ، إلى مثل شعبى أصبح جزءا لا يتجزأ من تراث أمة بأكملها .

والسؤال الآن : هل يمكن استخلاص فلسفة للمتنبى من مجموع الحكم التى وردت فى أشعاره ؟ والإجابة : أجل بكل تأكيد ، خاصة وأننا قد أصبحنا نمتلك الآن : المادة الفكرية الأولى لإجراء هذا العمل . وكنت أتمنى على بعض شباب الباحثين فى الفلسفة الإسلامية أن يقوموا به ، بدلا من إضاعة جهودهم فى تلك الخلافات القديمة التى شجرت بين المتكلمين ، ولم يعد لها أى نتيجة إيجابية فى حياتنا المعاصرة .

ومن جانبى أود أن أسجل هنا بعض انطباعاتى عن فلسفة المتنبى ، من خلال معايشتى لمجموع الحكم لديه . وسوف أخصها فى الملاحظات التالية :

أولاً : أن فلسفة المتنبى ليست ذهنية ، كما نجد لها لدى فلاسفة المسلمين من أمثال الكندى والفارابى وابن سينا .. بقدر ما هى فلسفة أخلاقية ، تتصل مباشرة بالسلوك الإنسانى ، وتفسر دوافعه .

ثانيا : أن هذه الفلسفة الأخلاقية تنبع وترتبط بحياة المتنبى وشعره معا . وبالتالي فإنه لا يمكن الفصل بين شخصية المتنبى وبين مختلف المواقف التى تعرض لها ، والمقاصد التى أنشدها فيها .

ثالثا : أن محور هذه الفلسفة الأخلاقية تتمثل أساسا فى تمجيد الكرامة الإنسانية ، وعزة النفس ، مع إدانة الذل فى كل صوره .

رابعا : أن الإنسان إنما يعيش حياته مرة واحدة ، لذلك ينبغى عليه أن يحقق فيها أعلى ما يمكن من الصفات ، مستخدما فى ذلك وسيلتين : صواب الدرى ، وشجاعة الفروسية .

خامسا : أن الأعمال العظيمة لا يمكن للإنسان أن يحققها إلما فى مرحلة الشباب ، حيث تتوافر الفتوة والقوة والعزيمة ، أما الشيخوخة فهى خريف العمر ، الذى يضطر صاحبه إلى بدء الانسحاب ، ويقع فيه الانكسار .

سادسا : أن تحقيق المطالب الكبرى فى الحياة لا ينبغى أن يتوصل إليه الإنسان بالمكر والتحايل والاستجداء ، وإنما بالقدام ، والاستيلاء عليها بالقوة ، كما تفعل الوحوش الكاسرة ، والطيور الجارحة .

سابعا : أن الإنسان العاقل هو الذى يتنبه جيدا لظروف الدهر وأحوال الدنيا ، التى لا تبقى دائما على حال واحد ، وإنما هى سريعة التقلب ، تسلب اليوم ما أعطته بالأمس .

ثامنا : هناك ذوهان من الأخلاق ، أحدهما خاص باللئام ، وهو يقوم على الكذب والنفاق والمذلة والخيانة ، والثانى أخلاق الكرام التى تتميز بالصدق والكرم والشجاعة والعفو عند المقدرة .

تاسعا : أن الصداقة الحقيقية أفضل من القرابة المزيفة ، كما أن اعتماد الإنسان على نفسه هو الذى يحدد قيمته الحقيقية ، وليس الاعتماد على حسب أو نسب ، أو الاتكاء على سيرة الأسلاف .

عاشرا : أن المحاكم هو رأس الدولة ، وهو أيضا القدوة لرهاياه ، ولذلك ينبغى أن يتحلى بالقوة والشجاعة والكرم والعدل ، وأن يخلو تماما من أضعادها .



تمثال المتنبي في العراق

1 - الحكمة في جزء من شطر بيت :

_____والحررنا يغدر

_____والمتلّف الشئ غارمه

_____من يزحم البحر يغرق

_____ومن المسرور بكاء

_____والموت اضطرار

_____ليس للدنيا خليل

_____والدنيا لمن غلبا

_____بعض المالكين عنيف

_____والمقتل الشريف شريف

2- الحكمة فى الشطر الأول من البيت :

□

□

أعلى الممالك ما يبنى على الأسفل

(الأسفل : الرماح)

إذا كان شعر فالنسيب المقدم

القلب أعلم يـا عزول بدائمه

باد هـواك صبرت أم لم تصبرا

أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا

اليوم عهدكم فأين الموعد؟!

الحب ما منع الكلام الألسنا

أفاضل الناس أغراض لذى الزمن

لكل امرئ من دهره ما تعودا

عقبى اليمين على عقبى الدوغى ندم

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا

إنما التهنئات للأكفـاء

أود من الأيام ما لا تـوده

لا خيل عنـدك تهديها ولما مال

لهوى النفسـوس سريرة لا تعلم

3- الحكمة فى الشطر الثانى

أشد من السقم الذى أذهب السقما

ولابد دون المشهد من ابر النحل

فإنى رأيت الطيب : الطيب الأصل

إن المنية عند الذل قنـديـد

(المقنـديـد : عسل قصب السكر)

وفى التقرب ما يدعو إلى المـهم

فإن الـرفق بالـجـانى عتاب

ومن وجد المـاحـسان قيـد تقيـدا

والعبد يقبح إلما عند سيده

وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

ولكن معدن الذهب الرغـام

وقدر الشهادة قـدر الشهـود

نظر العدو بما أسريـبـوح

إن القليل من المحب كثير

من يستطيع لأمر فائت طلبا

والجوع يرضى الأسود بالجيف

ومن يعيش يلذ له الغرام

وبضدها تتبين الأشياء

وما خير الحياة بلا سرور

هيهات تكتـم فى المظلام مشاعل

إن النفيس غريب حيثـما كانا

وكل اغتياـب، جهـد من ماله جهد

ولما كل ما يطير بـبـاز

وفى عنق الحسـاء يستحسن العقـد

ليس المتـكحل فى العينين كالكحل

فربما صحت الأجسام بالعلل

أنا الغريق فما خوفى من البلل

إن المعارف فى أهل المنهى ذمم

فليس يأكل إلما الميته الضبع

وكل حب صباية وواله

والدردر برغم من جهله

لايحمد السيف كل من حماله

ولما رأى فى الحب للعاقل

كل ما يمنح الشريف شريف

4-الحكمة فى بيت مفرد :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله

وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

ومن البلية عذل من لا يرعوى

عن جهله وخطاب من لا يفهم

والظلم من شيم النفوس فإن تجد

ذاعضة، فلعللة لا يظالم

يؤذى القليل من اللئام بطبعه

من لا يقلل كما يقلل ويلوؤم

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يراق على جوانبيه الدم

لا يخدعنك من عدو دمه

وارحم شبابك من عدو ترجم

والهم يخترم الجسيم نحافة

ويشيب ناصية الصبى ويهرم

ولقد رأيت الحادثات فلا أرى

يققا بميت، ولا سرورا يعصم

(اليق: المبيض)

لو فكر العاشق فى منتهى

فؤاده يخفق من رعبه

وغاية المفرد فى سلمه

كفاية المفرط فى حربته

فلا قضى حاجته طالب

حسن الذى يسببه لم يسبه

(الرعب : المقصود به هنا الخوف الشديد من الموت)

يدخل صبر المرء فى مدحه

ويدخل الإشفاق فى ثلبيه

(الإشفاق : الخوف - الثلب : الذم)

وليس حياء الوجه فى الذئب شيمة

ولكنه من شيمة الأسد الورد

كدعوائك ، كل يدعى صحة العقل

ومن ذا الذى يدرى بما فيه من جهل

وليس الذى يتبع الويل رائدا

كمن جاءه فى داره رائد الويل

ومن جهلت نفسه قدره

رأى غيره منه ما لا يرى

إذا ما عدمت الأصل والعقل والندى

فما لحياة فى جنابك طيب

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة

بين الرجال ولو كانوا ذوى رحم

أتى الزمان بنوه فى شبيبته

فسرهم، وأتيناها على الهرم

ومن ضاقت الأرض عن نفسه

حرى أن يضيق بها جسمه

إذا أتت الإساءة من ضيع

ولم ألم المسئ فمن ألوم

لا تشتت العبد إلما والعصا معه

إن العبيد لأنجاس مزاكيد

وهل ينفع الجيش الكثير المتفاضه

على غير منصور وغير معان

وفى الجسم نفس لا تشيب بشيبه

ولو أن ما فى الوجه منه حراب

وما العشق إلما غرة وطماعة

يعرض قلب نفسه فيصاب

أعز مكان فى الدنيا سرج سابع

وخير جليس فى الزمان كتاب

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن

لحى الله ذى الدنيا مناخا لراكب

فكل بعيد المهم فيها معذب

وكل امرئ يولى الجميل محبب

وكل مكان ينبت العز طيب

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا

لمن بات فى نعمائه يتقلب

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها

سرور محب ، أو مساءة مجرم

وإذا الحلم لم يكن عن طباع

لم يكن عن تقادم الميلاد

(الحلم هنا بمعناه الخلقى)

وما كل هاو للجميل بفاعل

ولما كل فعال له بمتمم

وفى الناس من يرضى بميسور عيشه

ومركوبه رجلاه ، والثوب جلده

وإذا لم تجد من الناس كفعا

ذات خدر أرادت الموت بعلا

وإذا ما خلا الجبان بأرض

طلب الطعن وحده والنزال

وإذا الرماح شغلن مهجة ثائر

شغلته مهجته عن الإخوان

وكثير من المسؤال اشتياق

وكثير من رده تعليل

وإذا العذل فى المندى زار سمعا

فقداه العذول والمعدول

وجرم جره سفهاء قوم

وحل بغير جارمه العذاب

وإذا خامر الهوى قلب صب

فعليه لكل عين دليل

وما فى سطوة الأرباب عيب

ولما فى ذلة العبدان عار

وما يوجع الحرمان من كف حازم

كما يوجع الحرمان من كف رازق

نبكى على الدنيا وما من معشر

جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا

وجائزة دعوى المحبة والهوى

وإن كان لا يخفى كلام المنافق

ما الذى عنده تدار المنايا

يهون علينا ان تصاب جسومنا

كالذى عنده تدار الشمول

وتسلم اعراض لنا وعقول

وما الحسن فى وجه الفتى شرفا له

إذا لم يكن فى فعله ، والخلائق

وما تنفع الخيل الكرام ولما القنا

إذا لم يكن فوق الكرام كرام

وما بلد الإنسان غير الموافق

ولما أهله الأذنون غير الأصادق

وكم ذنب مولده دلال

وكم بعد مولده اقتراب

وأتعب من ذاداك من لا تجيبه

وأغيظ من عاداك من لا تشاكل

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلل

مضر كوضع السيف فى موضع الندى

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وما قتل الأحرار كالعضو عنهم

ومن لك بالحر الذى يحفظ البدا

وأَتعب خلق الله من زاد همه

وقصر عما تشتهى النفس وحده

فلما مجد فى الدنيا لمن قل ماله

ولما مال فى الدنيا لمن قل مجده

فما المحدثاة من حلم بمانعة

قد يوجد الحلم فى الشبان والشيب

(الحلم هنا بمعنى العقل)

حسن الحضارة مجلوب بتطرية

وفى البداوة حسن غير مجلوب

وللنفس أخلاق تدل على الفتى

أكان سخاء ما أتى أم تساخيا

إذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذى

فلا الحمد مكسوبا ولما المال باقيا

ومن يجعل المضرغام للصيد بازه

تصيده المضرغام فيما تصيدا

إذا كان بعض الناس سيفا لدولة

ففى الناس بوقات لها وطبول

إذا لم تكن لليث إلما فريسة

غذاه ، ولم ينفعك أنك فيل

ووجه البحر يعرف من بعيد

إذا يسجو ، فكيف إذا يموج

فما ترجى النفوس من زمن

أحمد حالیه غیر محمود

ومن الحلاوة فى الزمان مرارة

لا تختطى إلما على أهواله

يدفّن بعضنا بعضا ، وتمشى

أواخرنا على هام الأوالى

وما التأنيث لاسم الشمس عيب

ولما التذكير فخر فى الهلال

وإذا كانت النفوس كبارا

تعبت فى مرادها الأجسام

وما كل سيف يقطع المهام حده

وتقطع لزبات الزمان مكارمه

(لزبات الزمان : شدائده)

مشيب الذى يبكى الشباب مشيبه

فكيف توقيه ، ويانيه هادمه

وقد يتزى بالهوى غير أهله

ويستصحب الإنسان من لنا يلائمه

غيرى بأكثر هذى الناس ينخدع

ان قاتلوا جبنوا او حدثوا شجعوا

وما الحياة ونفسى بعدما علمت

أن الحياة كما لا تشتهى طبع

(الطبع : الدنس والمعيب)

إن السلاح جميع الناس تحمله

وليس كل ذوات المخلب السبع

وما الخوف إلا ما تخوفه الفتى

وما الأمان إلا ما رآه الفتى أمنا

بذا قضت الأيام ما بين أهلها

مصائب قوم عند قوم فوائد

وفى تعب من يحسد الشمس نورها

ويجهد أن يأتى لها بضرب

ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت

على عينه حتى يرى صدقها كذبا

أعيذها نظرات منك صادقة

أن تحسب المشحم فيمن شحمه ورم

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره

إذا استوت عنده الأنوار والظلم

إذا رأيت نيوب الليث بارزة

فلا تظن أن الليث يبتسم

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا

ألا تفارقهم فالراحلون هم

شر البلاد مكان لا صديق به

وشر ما يكسب الإنسان ما يصم

(يصم : يعيب)

وما صباية مشتاق على أمل

من اللقاء كمشتاق بلا أمل

خذ ماآتراله ودع شيئاً سمعت به

فى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

وليس يصح فى الأفهام شئ

إذا احتاج النهار إلى دليل

وأحلى الهوى ماشك فى الموصل ربه

وفى الهجر، فهو الدهر يرجو ويتقى

ونهب نفوس أهل النهب أولى

بأهل المجد من نهب القماش

إذا ما لبست الدهر مستمتعا به

تخرقت ، والملبوس لم يتخرق

وإطراق طرف العين ليس بنافع

إذا كان طرف القلب ليس بمطرق

ومن قبل النطاح وقبل يأتى

تبين لك النعاج من الكباش

والغنى فى يد اللئيم قبيح

قدر قبح الكريم فى الإملاق

وكم من عائب قولنا صحيحا

وآفته من المفهم السقيم

فقد يظن شجاعا من به خرق

وقد يظن جبانا من به زمع

(الخرق : المخفة والطيش - الزمع : الارتعاد)

وكل شجاعة فى المرء تغنى

من لا يرى فى الدهر شيئا يحمد

يرى الجبناء أن المعجز عقل

وتلك خديعة الطبع اللئيم

من خصّ بالدم الفراق فإننى

ولما مثل الشجاعة فى الحكيم

وما تقر سيوف فى ممالكها

حتى تقلقل دهرها قبل فى القلل

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدوا له ما من صداقته بدّ

ولكن حبا خامر القلب فى الصبا

يزيد على مر الزمان ويشتد

وشيخ فى الشباب، وليس شيخا

يسمى كل من بلغ المشيبا

وإنى رأيت الضر أحسن منظر

وأهون من مرأى صغير به كبر

إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ذاقص

على هبة فالفضل فيمن له الشكر

ليس الجمال لوجه صح مادنه

أنف العزيز بقطع العز يجتدع

(المادن : أرنية الأنف - يجتدع : يقطع)

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله

مخافة فقر ، فالذى فعل المفق

وإذا أتتك مذمتى من ذاقص

فهى الشهادة لى يأتى كامل

كل حلم أتى بغير اقتدار

حجة لاجئ إليها اللئام

ومكايد السفهاء واقعة بهم

وعداوة الشعراء بئس المقتنى

وأنفس ما للغنى لبّ

وذو اللب يكره إنفاقه

ما كل من طلب المعالى نافذا

فيها ولما كل الرجال فحولما

تلف الذى اتخذ الجراءة خلة

وعظ الذى اتخذ الفرار خليلا

والعار مضاض وليس بخائف

من حتفه من خاف مما قبيلا

(مضاض : مؤلم)

ومن يك ذا فم مرّ مريض

يجد مرا به الماء الزلالا

أبلغ ما يطلب النجاح به المطبع ، وعند التعمق الزلل

وما كل بمعذور ببخل

ولما كل على بخل يدام

لعتت مقارنة اللئيم فإنها

ضيف يجر من الندامة ضيفنا

(الضيفن : الذى يتبع الضيف)

وشبه الشئ منجذب إليه

وأشبهنا بدنيانا الطعام

إذا كان الشــــــــباب المسكر، والشــــــــباب هما ... فالحياة هى الحمام

أعيذكُم من صرُوف دهرِكُم

فإنه فى الكرام متهم

وإنما الناس بالملوك وما

تفلح عرب ملوكها عجم

خير الطيور على القصور وشرها

يأوى المخراب ويسكن الناورسا

(الناورس : المقبرة)

تذلل لها واخضع على القرب والنوى

فما عاشق من لا يذل ويخضع

وكاتم الحب يوم المبين منهتك

وصاحب الدمع لا تخفى سرائره

ورب مال فقيرا من مروءته

لم يثر منها، كما أثرى من العدم

ومن العداوة من ينالك نفعه

ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

على ذا مضى الناس اجتماع وفرقة

وميت ومولود، وقال وواق

(المقالى: المبغض الكاره - الوامق: المحب)

وإذا سحابة صد حب أبرقت

تركحت حلاوة كل حب عقلما

إذا اشتبهت دموع فى خدود

تبين من بكى ممن تباكى

والذل يظهر فى الذليل مودة

وأود منه لمن يود الأرقم

فقر الجهول بلا قلب إلى أدب

فقر الحمار بلا رأس إلى رسن

وما الجمع بين الماء والنفار فى يدى

بأصعب من أن أجمع الجد والفهما

(المجد: الحظ)

إذا لم تكن نفس النسيب كأصله

فما الذى تغنى كرام المناصب

(النسيب : الشريف - المناصب : الأصول)

هذا الوداع وداع الوامق الكمد

هذا الوداع وداع الروح للجسد

من يهن يسهل الهوان عليه

مالجرح بميت إيلام

5 - الحكمة فى بيتين متتاليين :

إذا ما الناس جريهم لبيب

فإنى قد أكلتهم ، وذاقا

فلم أرى ودهم إلما خداعا

ولم أر دينهم إلما نفاقا

يموت راعى المضأن فى جهله

ميتة جالينوس فى طبه

وربما زاد على عمره

وزاد فى المأمن على سربه

سوى وجع الحساد داو فإنه

إذا حل فى قلب فليس يحول

ولما تظمعن من حاسد فى مودة

وإن كنت تبديها له وتنيل

ولابد للقلب من آلة

ورأى يصدّع صمّ الصفا

وكل طريق أتاه المفتى

على قدر الرجل فيه الخطى

(يصدع : يشق - صم المصفا : الصخور الصلدة)

حتى رجعت وأقلامى قوائى لى :

المجد للسيف ليس المجد للقلم

اكتب بنا أبدا بعد الكتاب به

فإنما نحن للأسياف كالخدم

تصفو الحياة لجاهل أو غافل

عما مضى فيها وما يتوقع

ولمن يغالط فى الحقائق نفسه

ويسومها طلب المحال فيطمع

لا يدرك المجد إلا سيد فطن

لما يشق على السادات فعّال

لا وارث جهلت يمناه ما وهبت

ولما كسوب بغير السيف سأل

تمتع من سهاد أو رقاد

ولما تأمل كرى تحت الدرجام

فإن لثالث الحالين معنى

سوى معنى انتباهك والمنام

(السهاد : السهر - الكرى : النوم - الدرجام : حجارة تنصب على القبر - والمقصود بثالث الحالين : الموت)

مما أضرب بأهل العشق أنهم

هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا

تفنى عيونهم دمعاً وأنفسهم

فى إثر كل قبيح وجهه حسن

لا تلق دهرك إلا غير مكترب

مادام يصحب فيه روحك البدن

فما يديم سرور ما سررت به

ولما يرد عليك المفائت الحزن

وما الخيل إلا كالصديق قليلة

وإن كثرت فى عين من لا يجرب

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها

وأعضائها ، فالحسن عنك مغيب

فأحسن وجهه فى الدورى وجهه محسن

وأيمن كف فيهم كف منعهم

وأشرفهم من كان أشرف همه

وأكثر إقداما على كل معظم

إذا كنت فى شك من السيف فابله

فإما تنقيه وإما تعدّه

وما الصارم الهندى إلّا كغيره

إذا لم يفارقه المنجاد وغمده

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتى على قدر الكرام الكرائم

وتعظم فى عين الصغير صغارها

وتصغر فى عين العظيم العظائم

إذا ماتت أملت الزمان وصرفه

تيقنت أن الموت ضرب من القتل

وما الدهر أهل أن تؤمل عنده

حياة ، وأن يشقائق فيه إلى النسل

وما الموت إلا سارق دقّ شخصه

يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

يرد أبو المشيل الخميس عن ابنه

ويسلمه عند الولادة للنمل

(أبو المشيل : الأسد - الخميس : الجيش)

فدى الدار أخون من مومس

وأخدع من كفّة الحابل

تفانى الرجال على حبها

وما يحصلون على طائل

(كفة الحابل : شرك المائد)

ومن لم يعشق الدنيا قديما

ولكن لا سبيل إلى الوصال

نصيبك فى حياتك من حبيب

نصيبك فى منامك من خيال

إلف هذا الهـ واء أوقع فى الأنفـ س أن الحمـ ام مرّ المذاق

والأسى قبل فرقة الروح عجر

والأسى لا يكون بعد المراق

إذا غامرت فى مشرق مروم

فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت فى أمر حقير

كطعم الموت فى أمر عظيم

كثير حياة المرء مثل قليلها

يزول، وبقى عيشه مثل ذاهب

إليك فإنى لست ممن إذا اتقى

عضاض الأفاعى نام فوق العقارب

(أى لست ممن إذا خاف من الهالك صبر على الذل)

أذم إلى هذا الزمان أهيله

فأعلمهم فدم ، وأحزمهم وغد

وأكرمهم كلب ، وأبصرهم عم

وأشهدهم فهد ، وأشجعهم قرد

(الفهد : يضرب به المثل فى كثرة النوم)

إنى لأعلم والمليبيب خبير

أن الحياة وإن حرصت غرور

ورأيت كلا ما يعلل نفسه

بتعلة ، وإلى الفناء يصير

فإن الجرح ينفر بعد حين

إذا كان البناء على فساد

وإن الماء يجرى من جماد

وإن النار تخرج من زند

إن بعضا من القريض هراء

ليس شيئا وبعضه أحكام

منه ما يجلب البراعة والفضـل، ومنه ما يجلب البرسـام

(المبرسام : مرض فى الصدر)

كذا الدنيا على من كان قبلى

صروف لم يدمن عليه حالا

أشد الغم عندى فى سرور

تيقن عنه صاحبه انتقالا

قصدتك والراجون قصدى إليه

كثير، ولكن ليس كالذنب الأنف

ولما الفضة البيضاء والتبر واحدا

نفوعان للمكدى وبينهما صرف

(التبر : الذهب - المكدى : الفقير - المصروف : الفضل)

خليلك أنت ، لما من قلت خلى

وإن كثر التجمل والكلام

ولو حيز الحفاظ بغير عقل

تجنب عنق صيقله الحسام

(الصيقل : الذى يجلو السيف)

فالموت آت والنفوس نفائس

والمستغر بما لديه الأحمق

والمرء يأمل والحياة شهية

والشيب أوقر والشببية أنرق

6 - الحكمة فى عدة أبيات متتالية :

أ - ثلاثة أبيات :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا

وعناهم من شأنه ما عنانا

وتولوا بغصة كلهم منه ، وإن سرَّ بعضهم أحياننا

ربما تحسن الصنيع لئاليه ، ولكن تكدر الإحساننا

ولذيذ الحياة أنفس في النفس وأشهى من أن يـلـ وأحلى

وإذا الشيخ قال: أف، فما ملّ الحياة، وإنما الضعف ملّا

آلة العيش صحة وشباب

فإذا وليّا عن المرء وليّ

□

وما ماضى الشباب بمسترد

ولما يوم يسّر بمستعاد

متى لحظت بياض الشيب عيني

فقد وجدته منها فى السواد

متى ما ازددت من بعد التناهى

فقد وقع انتقاصى فى ازديادى

إذا كنت ترضى أن تعيش بذلة

فلا تستعدن الحسام اليمانيا

ولما تستطيلن الرماح لغارة

ولما تستجیدن العتاق المذاكيا

فما ينفع الأسد الحياء من الطوى

ولما تتقى حتى تكون ضاريا

(تستعدن : تتخذنه عدة - تستجیدن : تختار - العتاق : الخيل الطويلة - المذاكى : التى اكتملت اسنانها - الطوى : الجوع - المضوارى : المفترسة)

إنما أنفـس الأنيس سباع

يتفارسن جهرة واغتـالما

من أطاق التماس شئ غلابا

واغتصابا لم يـلتمسه سؤالما

كل غاد لحاجة يـتمنى

أن يكون الغضنفر الرئبالما

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه

حريصا عليها مستهاما بها صبا

فحب الجبان النفس أورده البقا

وحب الشجاع الحرب أورده العطب

ويختلف الرزقان ، والفعل واحد

إلى أن إحسان هذا لذا ذنبا

إنما تسترد ما تهب الدنيا ، فياليت جودها كان بخلا

وهى معشوقة على الغدر ، لا تحفظ عهدا ولما تتمم وصلا

شيم الغانيات فيها ، فما أدري لذا أنــــــت اسمها الناس أم لا

ولما تحسبنَّ المجد زقا وقينة

فما المجد إلّا السيف والفتكة البكر

وتضريب أعناق الملوئك وأن ترى

لك الهبوات السود والعسكر المجر

وتركك فى الدنيا دويا كأنما

تداول سمع المرء أنمله العشر

(الزق : وهاء الخمر - الفتكة : البطن - البكر : غير المسبوقه - الهبوات جمع هبوة : الغبار المتصاعد من المعركة)

ب- أربعة أبيات :

لا افتخار إلّا لمن لا يضام

مدرك أو محارب لا ينام

ليس عزمًا مامرّض المرء فيه

ليس همًّا ما عاق عنه الظلام

واحتمال المأذى ورؤية جانبيه قذى تضوى به الأجسام

ذل من يغبط الذليل بعيش

رب عيش أخف منه الحمام

لا تعذل المشتاق فى أشواقه

حتى يكون حشاك فى أحشائه

إن القتيل مضرجا بدموعه

مثل القتيل مضرجا بدمائه

والعشق كالمعشوق يعذب قربه

للمبتلى، وينال من حبيبائه

لو قلت للدينف الحزين : فديته

مما به لأغرته بفدائه

(المحوياء : الروح)

انعم ولذّ فللامور أواخر

أبدا إذا كانت لهنّ أوائل

مادمت من أرب الحسان فإنما

روق الشباب عليك ظل زائل

للهو آونة تمر كأنها

قبل يزودّها حبيب راحل

جمع الزمان ، فلا لذيد خالص

مما يشوب ولا سرور كامل

ففى فؤاد المحب نار جوى

آخر نار المحجيم أبردها

شاب من المهجر فرق لمته

فصار مثل الدمقس أسودها

يا عاذل العاشقين دع فئة

أضلها الله كيف ترشدها

ليس يحبك الملام فى همم

أقربها منك عنك أبعدها

(اللمة : الشعر الذى يجاوز الأذن - الدمقس : الحرير الأبيض)

إذا غدرت حسناء وضت بعهدها

فمن عهدها ألما يدوم لها عهد

وإن عشقت كانت أشد صباية

وإن فركت فاذهب فمافركها قصد

وإن حقدت لم يبق فى قلبها رضا

وإن رضيت لم يبق فى قلبها حقد

كذلك أخلاق النساء ، وربما

يضل بها المهادى ويخفى بها الرشيد

لولا المشقة ساد الناس كلهم

الجود يفقر والإقدام قتال

وإنما يبلغ الإنسان طاقته

ماكل ماشية بالرجل شمال

إننا لفى زمن ترك القبيح به

من أكثر الناس إحسان وإفضال

ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته

مافاته ، وفضل العيش أشغال

ج - خمسة أبيات :

الرأى قبل شجاعة الشجعان

هو أول وهى المحل الثانى

فإنهما اجتماعا لنفس حرية

بلغت من العلياء كل مكان

ولربما طعن الفتى أقرانه

بالرأى قبل تطاعن الأقران

لولا العقول لكان أدنى ضيغم

أدنى إلى شرف من الإنسان

ولما تفاضلت النفوس ودبرت

أيدى الكرامة عوالى الممران

(الممران : الرماح اللدنة)

لابد للإنسان من ضجعة

لا تقلب المضجع عن جنبه

ينسى بها ما كان من عجبه

وما أذاق الموت من كربه

نحن بنو الموتى ، فما بالنا

نعاف ما لآبد من شربه

تبخل أيدينا بأرواحنا

على زمان هنّ من كسبه

فهذه الأرواح من جوّه

وهذه الأجسام من تربه

وقد فارق الناس الأحبة قبلنا

وأعيا دواء الموت كل طبيب

سبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها

منعنا بها من جيئة وذهوب

تملكها المآتى تملك سالب

وفارقها الماضى فراق سليب

ولما فضل فيها للشجاعة والمندى

وصبر الفتى لولما لقاء شعوب

وأوفى حياة المغابرين لصاحب

حياة امرئ خائته بعد مشيب

(الشعوب: المموت)

د - ستة أبيات :

عش عزيزا أو مت وأنت كريم

بين طعن القنا وخفق البنود

فرؤوس الرماح أذهب للغيب وأشفى لغل صدر الحقود

لأ كما قد حييت غير حميد

وإذا متّ متّ غير مفيد

فاطلب العز فى لظى، ودع الدل، وإن كان فى جنان الخلود

يقتل المعاجز الجبان، وقد يعجز عن قطع بخنق المولود

ويوقى الفتى المخش وقد خوض فى ماء لبــــه الصنديد

(البخنق : خرقه قماش يقنع بها رأس المولود وتشد تحت الحنك - المخش : الجرى - الملبه : أعلى الصدر - الصنديد : الشجاع)

كلما أنبت الزمان قناة

ركب المرء فى القناة سهاماً

ومراد النفوس أصغر من أن

تتعادى فيه وأن تتفانى

غير أن الفتى يلاقى المنايا

كالحات ولما يلاقى الهوانا

ولوان الحياة تبقى لحيّ

لعددنا أضلنا المشجعانا

وإذا لم يكن من الموت بدّ

فمن العجز أن نموت جباناً

كل ما لم يكن من الصعب فى الأنفـس سهل فيها إذا هو كانا

فلا تنلك الليالى إن أيديها

إذا ضربن كسرن النبع بالغرب

ومن تفكر فى الدنيا ومهجته

فإنهن يصدن الصقر بالخراب

وإن سررن بمحبوب فجعن به

وقد أتيتك فى الحالين بالعجب

وربما احتسب الإنسان غايتها

وفاجأته بأمر غير محتسب

وما قضى أحد منها لبائته

ولما انتهى أرب إلإ إلى أرب

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم

إلإ على شجب والخلف فى الشجب

فقل تخلص نفس المرء سالمة

وقيل تشرك جسم المرء فى العطب

ولما يعنّ عدوا أنت قاهره

أقامه الفكر بين العجز والمتعب

و - تسعة أبيات :

ولما صار ود الناس خبا

جزيت على ابتسام بابتسام

وصرت أشك فيمن أصطفيه

لعلمى أنه بعض الأنام

يحب العاقلون على التصافى

وحب الجاهلين على الوسام

وأنف من أخى لأبى وأمى

اذا ما لم أجده من الكرام

أرى الأجداد تغلبها كثيرا

على الأولاد أخلاق اللئام

ولست بقانع من كل فضل

بأن أعزى إلى جد همام

عجبت لمن له قد وج

وينبؤ نبوة القضم الكهام

ومن يجد الطريق إلى المعالى

فلا يذر المطىّ بلا سنام

ولم أر فى عيوب الناس شيئا

كنقص القادرين على التمام



تمثال المتنبي فى العراق

□

□

